

اللباس من خلال الأمثال والألغاز الشعبية بمنطقة تلمسان

Dress through popular proverbs
and riddles in the Tlemcen region

دادوة حضرية نبية¹ ، بومديني بلقاسم²

¹كراسك. وهران. dadouanebia@yahoo.fr

²جامعة مصطفى اسطمبولي. معسكر. كراسك. وهران. bboumedini@yahoo.fr

| معلومات المقال | الملخص: (لا يتجاوز 10 اسطر) |
|---|---|
| تاريخ الارسال: 2020/...../..... | تعتبر الأمثال والألغاز من أكثر فروع الثقافة الشعبية ثراء، وهما تعبير عن نتائج تجربة طويلة أدت إلى تقديم عبرة وحكمة. المثل واللغز عبارة عن جملة مفيدة متوارثة شفاهة من جيل إلى جيل، شائعة الاستعمال عند عامة الشعوب بمختلف طبقاتها. تزخر الأمثال والألغاز الشعبية في الجزائر، مثلها مثل باقي الدول بمضامين تتناول مواضيع عديدة، يهمنها في هذا الإطار تناول موضوع اللباس من خلال عيانات من منطقة تلمسان. من خلال أبحاثنا الميدانية التي اهتمت بأشكال التعابير الشعبية النسوية في منطقة الغرب الجزائري (مشروع بحث بمركز الكراسك. وهران) ، صادفتنا عدة الغاز وأمثال شعبية تحدثت عن اللباس؛ إما باعتباره شكلا يرتديه الإنسان أو مضمونا رمزيا عن شيء يراد شرحه بالاعتماد على لباس معين. |
| تاريخ القبول: 2020/...../..... | |
| الكلمات المفتاحية: ✓ اللباس ✓ الألغاز ✓ الأمثال ✓ تلمسان | |
| Article info | Abstract : (not more than 10 Lines) |
| Received Accepted | <i>Proverbs and riddles are among the richest branches of popular culture, and they are an expression of the product of a long experience that led to providing a lesson and wisdom. Proverbs and riddles are useful phrases passed down orally from generation to generation, comm only used by all people of all classes.</i> |
| Keywords: ✓ Dress ✓ Riddles ✓ Proverbs ✓ Tlemcen | <i>Proverbs and popular mysteries abound in Algeria, like other countries, with contents that deal with many topics. In this context, we are interested in dealing with the issue of dress throughs amples from the Tlemcen region.</i> |
| | <i>Through our field research that focused on the forms of feminist popular expressions in the western Algerian region (a research project at the CRASC Center, Oran), we came across several gasses and popular proverbs that talked about dress; Either as a form worn by a person or a symbolic content of something to be explained by relying on a specific garment.</i> |

المؤلف المرسل: دادوة حضرية نبية

مقدمة:

لم يعد التراث اللامادي مجرد مسألة ثانوية يتناولها النقاد بالدراسة النظرية فحسب. ولم يعد موضوعا جانبيا يقابله المفكرون والفلاسفة باللامبالاة. بل أصبح من المشاكل الفلسفية المعقدة، ذات الأثر الحضاري الذي يسهم بشكل بالغ وواضح في التعبير عن وجود الإنسان. و لهذا السبب أصبح الباحثون يولونه اهتماما كبيرا ويدرسونه بشكل أكاديمي منتظم في كل الأقطار، مهما اختلفت لغاتها وفنونها.

أول ما يواجه أي دارس للموروث الشعبي هو تحديد المصطلح وتعريفه، فكما تباينت الآراء حول إعطاء تعريف شامل لمصطلح الثقافة، فالحالة نفسها لما يتعلق الأمر بالثقافة الشعبية أو الأدب الشعبي. وقد حدد تايلور مفهوم الثقافة بقوله "إن الثقافة أو الحضارة هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والقانون والأخلاق والعادات والعرف وكافة القدرات والأشياء الأخرى التي تؤدي من طرب الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع" (عباس، 2009، ص 21)، وبالتالي فالثقافة الشعبية هي كل شكل أو لون فني يعبر الشعب من خلاله عن حياته المعيشية عبر مراحلها، وفي كل حالاتها من فرح وحزن، في الأعياد والمناسبات، لتأدية طقوس العبادات بجميع أشكالها، لتربية الأطفال، لتأبين الميت، لاستقبال مولود جديد، لإضفاء الفرح في عرس، إلى غير ذلك من المناسبات. ويكون هذا التعبير في شكل أغاني، حكايات، أمثال، الغاز، وغيرها من الأشكال الأدبية الشعبية المعروفة. فما نسمعه من غناء، وما تحكيه الأمهات للأطفال قبل النوم، وما يرافق الميت من مديح عند نقله إلى المقبرة، وما تؤديه النساء والرجال من غناء مرافق للرقص في الأعراس، وما يرويهِ القوال في الحلقات خلال الوعدات إلا شكلا من أشكال الفنون الأدبية الشعبية.

يُمكن الأدب الشعبي من الحفاظ على ثقافة المجتمع، من عادات وتقاليد ومعتقدات. من خلال هذه الأشكال الأدبية الشعبية يستطيع الجيل الحاضر أن يتعرف ولو بصورة مختصرة عن الحالة الاجتماعية، والظروف الاقتصادية التي كان سلفه يعيش فيها، وبالتالي يحافظ عليها من حيث المضمون، لأن الشكل تطرأ عليه تغيرات من جيل إلى آخر. يتضمن مقالنا تقديمًا وشرحًا لمجموعة من الأمثال والألغاز لها علاقة باللباس، مأخوذة من منطقة تلمسان، جمعنا بعضها، وزودنا بأخرى بعض الزملاء، ضمن مشروع بحث موطن بمركز الكراسك. وهران، تحت عنوان "التراث اللامادي النسوي في منطقة الغرب الجزائري". لتبيان كيف استطاع المجتمع أن يفهم ويشرح واقعه بالاعتماد على الأدب الشعبي. قبل التطرق إلى المدونة نُعرِّج على الاهتمام بالفنون الشعبية على العموم والأدب الشعبي على الخصوص، ثم نقوم بالتعريف بالمثل واللغز، لغة واصطلاحا.

2. الثقافة الشعبية تاريخها ودلالاتها

1.2. في أوروبا

يعتقد الدارسون للأدب والفنون الشعبية بصفة عامة أن أولى المحاولات ترجع للألمان، الذين وإن لم يهتموا بجمع التراث الشعبي بطريقة علمية فإنهم كانوا السابقين لذلك. ويعتبر "الإخوة جريم" من أوائل الذين اعتنوا بجمع القصص الشعبية وتدوينها ؛ حيث اعتبرت أعمالهم بأنها "واضعة الأساس لدراسات الخرافات والقصص الشعبية، وقد جعل هذان الأخوان من الحكاية زادا ليس للشعب الألماني فحسب بل للعالم كله." (ريابي، 2022، ص 265)

لكن الانطلاقة الحقيقية وبالطريقة العلمية للاهتمام بالفنون الشعبية بصفة عامة، فترجع إلى عالم الآثار الإنجليزي "وليام جون تومز" وكان ذلك سنة 1846، إذ عرّف الفولكلور بأنه : " المعتقدات والأساطير والعادات التقليدية الشائعة بين عامة الناس " و بأنه " آداب السلوك والعادات، وما يراعيه الناس (observances) والخرافات، والأغاني الروائية (ballades) والأمثال ... إلخ التي ترجع إلى العصور السالفة." (هولتكرانس، 1972، ص 280)

يعود الاهتمام بالثقافة الشعبية لعدة أسباب، منها ما هو علمي ومنها ما هو سياسي، وإن وجد تداخل بينهما. فلأجل معرفة أي مجتمع لا بد من الرجوع إلى ما ينتجه الشعب بكل فئاته، من أشكال أدبية شعبية ، للتعبير عن مكوناته داخل الإطار الاجتماعي البسيط الذي ينتمي إليه، بعيدا عن الإطار الرسمي الذي تمثله الدولة. كان الأوروبيون، عندما استعمروا الدول الإفريقية والآسيوية، خاصة العربية منها، يهدفون من وراء اطلاعهم على الموروث الشعبي إلى معرفة طريقة تفكير كل مجتمع حتى يتسنى لهم التعامل معه تعامل المستعمر العارف لمستعمره.

2.2. عند العرب

مرت دراسة التراث الشعبي عند العرب بمرحلتين ، مرحلة التدوين ثم مرحلة الدراسة. ويرجع سبب اهتمام الباحثين في السنوات الأخيرة إلى ما لعبه من "دور بارز في حياة أي شعب من الشعوب تعبيرا عن واقعه وتسجيلا للأحداث الهامة من تاريخه وتصويرا لظواهر وملامح المجتمع وتقاليد ولآرائه الأصيلة." (قريش، 1980، ص 3)

- مرحلة التدوين

اهتم العرب منذ القدم بتدوين كل ما يروى من أساطير قديمة، وخرافات غريبة، وشواهد نادرة. وأصبحت فيما بعد من الوثائق التي يرجع إليها الغرب لدراسة مجتمعاتنا. ويلاحظ أن الكتب الأولى اهتمت خاصة بسير الملوك، وقصص الجن وأساطير الأولين. ومآثر الفرسان البواسل، كذي القرنين وعلقمة؛ حيث تتداخل الحقائق التاريخية فيها مع الخرافة. وترى الباحثة روزلين قريش أن أول من دعا إلى الاهتمام بالثقافة الشعبية "هو عبد الرحمن بن خلدون، فأراد لفت الأنظار إلى أدب اللهجات الدارجة من الموشحات والأزجال التي كثرت في زمانه." (قريش، 1980، ص 19)

اللباس من خلال الأمثال والألغاز الشعبية بمنطقة تلمسان

أما في العصر الوسيط فأمتزج الأدب العربي مع أدب الأجناس الأخرى، الفارسية والهندية، وظهرت السير الشعبية؛ كسيرة بني هلال، سيف بن ذي يزن، عنزة وألف ليلة وغيرها من القصص والأشعار الزجلية التي حملها لنا المؤلفون أو الجامعون لهذا التراث العريق. "فقد وضع محمد عياد الطنطاوي والياس بن يقطر السيوطي كتباً في العامية المصرية ونشروا نماذج من الأشعار والحكايات الشعبية التي كانت تتداول في مصر... وقد فتحت هذه الانطلاقة الجديدة أبواباً واسعة فيما بعد." (قريش، 1980، ص 20)

- مرحلة الدراسة

الدراسة الحقيقية بدأت في القرن 19 حيث ألف كثير من الدكاترة أطروحاتهم الجامعية حول مواضيع لها علاقة بالفلكلور. وقد ظهرت هذه النزعة خاصة عند اللذين درسوا في أوروبا "الفضل يرجع إلى الذين ذهبوا إلى أوروبا وأقاموا بها مدة من الزمان". (قريش، 1980، ص 20) كما برزت للوجود دوريات في مختلف الأقطار العربية تهتم بشكل خاص بالفنون الشعبية: في العراق ولبنان ومصر وسوريا والأردن على وجه الخصوص. حالياً، الاهتمام بالأدب الشعبي أصبح على عاتق الباحثين الأكاديميين في كل الجامعات العربية، والجزائر لا تشذ عن هذه القاعدة، فقد برز العديد من الدارسين الذين أولوا للأدب الشعبي والتراث اللامادي على العموم أهمية كبيرة ومكنوه من الولوج إلى حقل الدراسات الأكاديمية.

3. أشكال التعبير الشعبي وخصائصه

يجدر بنا أن نتحدث عن أشكال ومواصفات التعبيرات الشعبية، واختلافها عن الفنون الرسمية. فإذا أخذنا الشعر العربي الفصيح، فبالمقابل هناك الشعر الشعبي أو ما يطلق عليه بالزجل أو الشعر العامي أو الدارج أو الملحون، كما يطلق عليه غالباً في المغرب العربي، وفيه أبداع كثير من الشعراء قديماً وحديثاً. ومثلما نجد في الفصيح موسيقاه، فالشاعر الشعبي أيضاً أستطاع أن ينسج قصائد فيها من القوافي والروي والسجع ما يجعلها تقترب كثيراً من الشعر العمودي، كما أن الدارسين للعروض حاولوا مراراً أن يجعلوا للشعر الشعبي بجزءاً، واستطاعوا إلى حد ما في إخراج بعض الأوزان، وإن لم تكن متطابقة مع ما هو معروف في الشعر العربي الفصيح. أما الأغراض فنجد معظمها، فهناك الهجاء والمدح والغزل والثناء والشعر الثوري والسياسي وغيره من الأغراض الأخرى.

أما المسرح، فلا شك أنه تأثر كثيراً بالمواضيع الشعبية حتى أنتجت مسرحيات تعتمد في مواضيعها على ما هو فلكلوري بالدرجة الأولى، ولا يمكننا إغفال التأثير الكبير للمواضيع التراثية المأخوذة من الحكايات والأساطير على المسرحيات في جميع الدول العربية؛ مثل ما فعل علولة وكاكي في الجزائر.

أما الأغنية الشعبية، فهي قديمة قدم الإنسان فقد غنى الإنسان في كل حالاته النفسية، ولكل المناسبات أين ما كان. لم تشذ الألغاز والأمثال الشعبية عن القاعدة. فقد ساهمت هذه الأشكال في الحفاظ على الثقافة العالمية عامة، والعربية على الخصوص. ومن الأمثلة التي يمكن التنويه إليها من خلال هذا البحث، التعبير عن اللباس ضمن مدونات المثل واللغز.

يمتاز الأدب الشعبي بمجموعة من الخصائص، أهمها:

- اللغة المستعملة هي اللغة التي يستعملها الأشخاص في حياتهم اليومية، أي يتردد على ألسنتهم من كلمات، دون اللجوء إلى لغة أخرى مثل ما هو الحال بالنسبة للأدب الرسمي. وبالتالي فلا يحتاج قائل المثل أو اللغز إلى التكلف والبحث عن مفردات لغوية في لغة رسمية، مما يفقد المعنى الذي يراد إيصاله للمستمع.
- مجهولية المؤلف وبالتالي فلا تجادل حول من قائله، مما يوفر على المجتمع الصراعات التي تحدث بين مؤلفي أنواع الآداب العالمة؛ من شعر ورواية وقصة، فالمثل أو اللغز إذا قيل في منطقة ما يصير ملكاً للأهل المنطقة دون البحث عن قائله.
- الأدب الشعبي يعبر عن التفكير الجماعي للمنطقة وليس لتفكير الفرد، فهو وإن كان قائله ربما فرد، إلا أنه ينقل تصوراً جماعياً لمشكل ما، يعبر عنه، ناقلاً رأي الجماعة وليس رأيه الشخصي.
- معظم أشكال التعبير الشعبي تعتمد على اللغة الغير رسمية وبالتالي فهي غير مكتوبة وتتواتر شفهايا من أجيال إلى أجيال، رغم تدوينها كتابة من طرف الباحثين المهتمين بالتراث الشعبي أو ما يطلق عليه التراث اللاماديين بعد سماعها من الحفاظ حتى لا تتعرض للضياع.

4. اللباس في المثل الشعبي

1.4. تعريف المثل

اقترح اللغويون عدة تعاريف للمثل، سواء تعلق الأمر بالمثل الفصيح أو الشعبي. نورد في هذا البحث تعريفين؛ الأول لغوي والثاني اصطلاحياً. للتعرف على المعنى اللغوي للمثل نورد ما جاء في كتاب ابن منظور: "المثل الشعبي من الناحية اللغوية هو مأخوذ من المثل وهو قول سائر يشبه حال الأول بالثاني، والأصل فيه التشبيه فقولهم: مثل بين يديه إذا انتصب، معناه أشبه الصورة المنتصبة، وفلان مثل فلان أي أشبه لما له الفضل، والمثال القصاص لتشبيه حال المقتض منه بحال الأول" (ابن منظور، 2003، ص 727).

من أجل إعطاء معنى اصطلاحياً للمثل اعتمدنا على ما قدمه الدكتور عبد الحميد بورايو، أحد أهم الأكاديميين المهتمين بالأدب الشعبي في الجزائر، والذي بدوره نقله عن ابن عبد ربه "والأمثال هي وشي الكلام، وجوهر اللفظ، وحلي المعاني، والتي تخيرتها العرب، وقدمتها العجم، ونطق بها في كل زمان على كل لسان، فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة لم يسر شئ مسيرها ولا عمومها." (بورايو، 2006، ص 27) كما يعرفه الباحث المهتم بالأدب الشعبي التلي بن الشيخ: "المثل جملة أو جملتين تعتمد على السجع، وتستهدف الحكمة والموعظة...، والمثل الشعبي تلخيص لقصة أو حكاية ولا يمكن معرفته إلا بعد معرفة القصة أو الحكاية التي يعبر المثل عن مضمونها." (ابن الشيخ، 1990، ص 19)

المثل الشعبي هو من الفنون الشعبية اللامادية الأكثر ثراءً، وهو يعبر غالباً عن تجارب الأشخاص والشعوب للحياة، وبالتالي تلخص هذه التجربة أو هذا المعنى في عبارة مفيدة تتداول وتتوارث متوارثة شفهايا بين الأجيال. قول المثل الشعبي يتطلب من صاحبه التحكم باللغة الأم التي تزخر بالعبارات المؤثرة في الأشخاص وبالتالي فقائله لا يكون الإنسان العادي في المجموعة بل يكون غالباً حكيهما أو شيخها. يمكننا عند قراءتنا للأمثال الشعبية معرفة اللغة التي نظمت به والثقافة التي تمثل هذه القبيلة أو

اللباس من خلال الأمثال والألغاز الشعبية بمنطقة تلمسان

الجهة التي اقترحت هذا المثل. من خلال المثل يراد إما نقد المجتمع أو نصحه أو ذمه أو شكره؛ حيث لا يعرف المعنى إلا إذا عرفت الظروف التي قيل فيها. إذا أخذنا بعين الاعتبار الأمثال التي نحن بصدد تقديمها نجد أن بعضها يورد شكلا من أشكال اللباس، أو صورة تدل عليه، إما كشيء محمود أو كشيء مذموم.

2.4. نماذج من الأمثال حول اللباس.

هذه مجموعة من الأمثال الشعبية المتواترة بمنطقة تلمسان نقوم بشرحها وإعطاء القيمة التربوية التي يراعى إيصالها للمجتمع:

- الزواج سترة.

المثل مستنبط من الآية الكريمة "هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ" (سورة البقرة، الآية 187)، التي شرحها المفسرون بالستر، أي كل واحد يستر الآخر من الوقوع في المحذور. والسترة في اللغة العربية الفصحى والدارجة هي خرقة يضعها الشخص على جسمه ليستر في الحمام من الآخرين. كما تعني أيضا الحفظ. وبالتالي فهذا المثل يحتمل المعنيين معا؛ الخرقة والحفظ.

- مرا تعليك ومرا تعريك.

كثيرا ما ذكرت المرأة في الأمثال، مرات لمدحها ومرات لدمها، في هذا المثل تعرف المرأة بما يمكنها أن تقدم للرجل الذي يرتبط بها؛ فهي إما ترفعه وتساهم في بلوغه أعلى المراتب، أو تكون سببا في سقوطه بعد أن بلغ مجده في مراتب وصلها أو في غنى بلوغه بجهد. ويعبر عن الحالة الثانية بالعري، أي بدون ثياب تستره. وإذا عدنا إلى القران الكريم نجد أن وصف الإنسان بالعري مرتبط بسيدنا ادم عندما غضب الله عليه واخرج، هو وزوجته حواء من الجنة، لأنهما سمعا كلام إبليس واكلا من الشجرة التي نهاهما عنها ربهما، وبالتالي أصبحا بدون ستر وجعلا من أوراق الأشجار سترا لعورتهم "فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفَحَا بِخَصْفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ". (سورة الأعراف، الآية 22)

النظرة للمرأة من خلال الأمثال الشعبية تختلف عنها في الأمثال العاملة؛ حيث نجد مثلا آخر يقول "الخير مرا والشر مرا". أما المثل الفصيح فيجعل الرجل مدينا للمرأة في بلوغ العظمة: "وراء كل رجل عظيم امرأة".

- كول اللي يعجبك ولبس اللي يعجب الناس.

من اجل العيش في مجتمع ما دون التعرض للمشاكل يجب التأقلم مع الثقافة الغاية أو ما يطلق عليه الاندماج في المجتمعات المستقبلية. حاليا يعاني المسلمون في أوروبا من مشكل الاندماج في المجتمع الأوروبي بسبب رفضهم تناول المأكولات المحرمة وارتداء الملابس الغير لائقة والمرفوضة دينيا. والقانون الفرنسي مثلا يمنعهم من ارتداء الحجاب أو البرقع في الأماكن العمومية. فمشكلة اللباس موجودة منذ القدم. في المثل الشعبي ينصح بلبس الثياب اللائقة التي تشرف صاحبها ولا تجعل الآخرين ينظرون إليه بازدراء، لان الأمر يتعلق بالعلاقة مع الآخر،

أما عندما يتعلق الأمر بتناول الأكل فينصح بأكل ما يعجب الإنسان لأنه يتناوله وحده دون حضور الآخرين، وبالتالي عليه تناول ما ينفعه.

-مول التاج ويحتاج.

التاج رمز الحكم، ودليل على العظمة والغنى، وبالتالي عدم اللجوء إلى الآخرين لأنه من المفروض ألا يحتاج إليهم، بل هم من يحتاجون إليه. لكن الواقع يكذب هذا المبدأ وبالتالي حتى الشخص الذي يعد نفسه في غنى عن الناس يمكن أن يلجأ إليهم يوماً ما، وعليه يجب أن يتواضع معهم عندما يكون في أوج عظمتهم.

-المكسي بقش الناس عريان.

الشخص الذي يلبس غير ما يملكه يعتبر عريانا لأن اللباس الذي فوقه هو مستعار من الآخرين. المثل يضرب خاصة لحث الناس وحتى الدول للإتكال على نفسها، فتلبس مما تصنع وتأكل مما تزرع. من الناحية الاقتصادية، هذا المثل يدخل في إطار تجسيد مبدأ الاكتفاء الذاتي والتصدير بدل الاستيراد للمواد الممكن إنتاجها محلياً. ويبقى اللباس دائماً مصدر إلهام لصياغة الأمثال الشعبية.

-خيار السميات الرسول خيار الملبوسات السهول وخيار الماكالات جوع وكول.

هذا المثل يشتمل على ثلاثة مقاطع الأول يعنى بالتسمية، الثاني باللباس والثالث بالأكل. بالنسبة لاختيار أسماء الأشخاص، يُفضّل "ما حمد وما عبد" كما جاء في الأثر، وبالتالي فعبارة "خيار السميات الرسول" تعني اختيار أحد أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم. بالنسبة للباس يُنصح بلبس ما سهل خياطته أو شراؤه "خيار الملبوس السهول"، أما عندما يتعلق الأمر بالأكل فكل طعام يُؤكل إذا بلغ الإنسان الجوع "وخيار الماكالات جوع وكول".

-ارواح لربي عريان يكسيك.

عندما يطلب الإنسان من الله الستر بقلب خاشع ومتضرع فإن الله لا محالة يستجيب له، كما جاء في الذكر الحكيم. عبارة "عريان" المذكورة في المثل تعني مُتجرداً من كل أمراض النفوس الخبيثة التي تجعل العلاقة بينك وبين الله غير صادقة، خاصة الكبر والتفاخر. فإذا صدق تقربك وصدقت دعوتك قبلها منك الله واستجاب لك. نفس المعنى يخص علاقة الأشخاص في ما بينهم، فمنهم من يصدق في طلبه وتقربه، ومنهم من ينافق فقط لبلوغ مآربه، ولذلك لا يصدق الآخرون.

-سلك بالنعالة حتى تشري الصباط.

النعالة تصنع من الجلد أو البلاستيك ولا تستر الرجل كاملة، وبالتالي فهي تفيد لمرحلة غير طويلة في انتظار شراء صباط (حذاء). هذا المعنى يشترك مع معنى آخر يراد أن يعبر عنه ضارب المثل، ويخص ثقافة التدرج في المستوى المعيشي، أي على الإنسان أن يأمل دائماً في حياة أفضل لكن بشرط ألا يحرق المراحل وإلا فلن يعرف قيمة ما وصل إليه لأنه لم يتدرج في سلم الارتقاء درجة، بل قفز مباشرة.

-الراعي كي ما يصيب ما يدير يقطع نعايله.

عندما يكون الرعاة يتعقبون الغنم يمر بأوقات لا يجد ما يفعله، هناك من يملا وقته بالغناء، أو بحفظ القران، وهناك من يلعب معى راع آخر، في حين يوجد من لا يعرف بماذا يملا فراغه، فيعبر عنه هذا المثل بتقطيع حذائه (صباطه). المثل يتناول مشكل الذين يعجزون عن القيام بعمل نافع لهم أو لاجتماعهم، فينجزون أعمالا لا نفع يرجى منها.

-الخلاخل و الهم من الداخل.

الخلاخل هو عبارة عن سوار مصنوع من النحاس أو مواد أخرى تضعه المرأة في رجلها للزينة. وبالتالي فمن المفروض على المرأة التي تضع الحلبي أن تكون فرحة لا مهمومة. هذا المثل قيل للتعبير عن عدم تطابق اللباس مع الحالة التي يعيشها الإنسان، أو للتعبير عن وجوب التطابق بين الظاهر والباطن؛ فكثيرا ما نتعرف على أشخاص ظاهريا سعداء لكنهم يعانون من مشاكل لا يحسدون عليها. فعلى الإنسان ألا يأخذ بظاهر الأمور لأنها في الغالب لا تعبر عن حقيقة الأشياء.

-تمشي وتجر في حزامها. البلاهة.

عندما نريد التعبير عن شخص غير سوي، نلاحظ تصرفاته، ونعبر عن استقامته أو اعوجاجه في حركاته. فالمرأة التي تمشي وهي غير قادرة على ربط حزامها وتجره ورائها دليل على أنها غير سوية، وبالتالي لا يمكن الاتكال عليها. أما المرأة التي تعرف كيف تضع الحزام على وسطها فهي شخص يتكل عليه في الصعاب ويمكن أن تصبح مسؤولة عن عائلة وحتى عن مؤسسة صناعية. المثل هنا لا يخص المرأة لوحدها، بل يخص الرجل أيضا، لكنه اعتمد على احد عناصر اللباس الذي كانت تعتمده المرأة لذا الصق بالمؤنث.

-اللي موالف بالحفا ينسى سباطو.

الإنسان الذي تعود على شيء يستمر في ممارسته ولو ابعده عنه لفترة زمنية من دون أن يختار. فبمجرد زوال هذا الطارئ يعود الشخص إلى عاداته، أو كما يقال في مثل آخر "عادت ربما لعادتها القديمة". فالإنسان المتعود على طريقة عيش لا يستطيع تغييرها ولو فرضت عليه طريقة أخرى لمدة زمنية معينة. وبالتالي يجب مراعاة خصوصيات كل مجتمع وكل شخص إذا أردنا تعليمه أو تطويره. فلا يجب مثلا إخراجها عن تقاليده وما تعود عليه، بل ربما يمكن تطويرها دون إقصائها تماما. المثل يضرب أيضا بمعنى أن الإنسان الذي تعود على معيشة بسيطة (يعبر عنها هنا بالحفا أي بدون حذاء). إذا أصبح غنيا فانه لن يتعود على نمط العيش الجديد الذي أصبح مفروضا عليه، ويعبر عنها في الشطر الثاني ب "ينسى صباطه"، أي ينسى أن يلبس حذاءه.

- اللي راقد على القטיפه دافي، والعريان ما جاه رقاد.

النوم على القטיפه، وهي نوع من القماش الذي يعبر عن الليونة والترف في العيش، يحس بالدفء. أما الإنسان الذي لا يجد ما يلبسه أو ما يتخطى به فهو لا يستطع النوم. هذا المثل يضرب ليعبر عن متاعب الحياة التي تجعل الإنسان الفقير لا يتمكن من

بلوغ العيش الرغيد لما يعانیه من مشاكل مالية واجتماعية، خلافا للإنسان الغني الذي يعيش دائما في نعيم الحياة لما يملكه من مال وجاه. يعبر عنه بالقطيفة.

5. اللباس في الألغاز الشعبية

1.5. تعريف اللغز

تعرف الألغاز على أنها "تلك الجملة التي تلغز الكلام، أي تخفي مراده ولا تبينه، كما تعتبر الألغاز إحدى روافد الأدب الشعبي الموروث في أي بلد من البلدان، وبالتأليف شكل من أشكال الثقافة التربوية المتسمة بالابتكار لقهر الواقع الذي عادة ما يتصف بالتمطية والجهد المضني." (جرطي، 2007، ص 203)

ولكن العديد من الباحثين أصبح يطلق كلمة الأحاجي أو "الحجيات" على اللغز والحكاية الخرافية أيضا، كما يذهب إليه الدكتور عبد المالك مرتاض "عامتنا توسعوا في معنى الأحاجي، فلم يعودوا يطلقون على هذه الكلمات الملعزة أو المحجية كما يعبر أصحاب المعاجم العربية القديمة." (مرتاض، 1982، ص 9)

الألغاز شكل من أشكال التعبير الشعبي الذي يمثل التراث اللامادي للمجتمع، وبالتالي فهو ينقل لنا جزءا من ثقافة الشعب التي يبدعها عبر الملعزة. يعتمد اللغز على السؤال والجواب، خلافا للمثل. لكنه يتقابل معه في نقل وتصوير جوانب الحياة التي يعيشها المجتمع. "الألغاز الشعبية من أهم أشكال التعبير الشعبي وهي فن قائم بذاته، له أصوله ومقوماته الفنية واللغوية والبلاغية. يعتمد اللغز على المهارة الفكرية، فقائله يتحدى من يحاول إعطاء الحل الذي يجب أن يكون ملما باللغة وعارفا بثقافة المجتمع." (لوح، 2021، ص 1932)

الألغاز في معظمها مرتبطة بحياة الناس. فهي نابعة من تجاربهم وعندما يريد تبليغها للمجتمع يغلفها بثوب الفكاهة والاستعارة حتى لا يستطيع حل رموزها إلا ذوو المعرفة الكبيرة بأسرار المجتمع الذي يعيشون فيه "اللغز في جوهره، استعارة تنشأ نتيجة التقدم العقلي في إدراك كل ترابط أو شبه أو اختلاف، وهو يحتوي على عنصر الفكاهة الكامن في عدم التوقع." (لعوي، 2013، ص 164)

للمثل الشعبي عدة وظائف، منها الترفيه، التعليم، النقد، النصيح، الخ. زيادة على كونه يمثل وثيقة تاريخية يمكن الاعتماد عليها في حالة أردنا تاريخ منطقة أو القيام بدراسة سوسولوجية حولها. كما انه يعد مدونة يمكن لأصحاب الدراسات اللغوية الاشتغال عليها لمعرفة الخصائص اللغوية لمنطقة من المناطق. وهي خصوصية يشترك فيها مع المثل وكل أشكال التعبير الشعبي الأخرى.

5-2- نماذج من الألغاز حول اللباس.

- قدما قد الدبزة وفايتا القايد في اللبسه.(البصل).

حبة البصل رغم صغرها إلا أنها تحتوي على عدة طبقات، وبالتالي شبهت بلباس القائد. خلال الفترة الاستعمارية كان هذا الأخير يلبس أثوابا كثيرة، دليلا على رفعة شأنه بين الفرنسيين، وتكبره على بني جلدته الذين لا يجدون ما يلبسون لفقرهم.

اللباس من خلال الأمثال والألغاز الشعبية بمنطقة تلمسان

نفس المعنى نجد في اللغز: ماهياش بنت البايك بصرح لابس ميات حايك وحايك. أي أنها ليسب ابنة المسؤول الكبير لكنها ترتدي المئات من الحياك وهو الثوب الذي كانت المرأة ترتديه قبل أن يظهر الحجاب في المجتمع الجزائري.

-عريانة وتكسي الناس. (الإبرة).

عندما نرى الإبرة وهي تخطط الملابس ننتبه إلى أنها غير مغطاة بشيء يسترها وبالتالي فالعمل الذي تقوم به (تكسي الناس) يتناقض مع ما هي عليه (عريانة). حل اللغز نجد في كثير من الأحيان في نقيض المعنى بين جزئيه؛ العري والكسوة. ربما كان يقصد من هذا اللغز أن الكثير من الناس يساعدون الآخرين وينسون أنفسهم.

- جات للواد ونشرت حوالها (أي ألبستها). (نبته القرنية لأوراقها المتشعبة وتنت قرب الواد)

هذا اللغز يتحدث عن أوراق نبتة معروفة في منطقة تلمسان باسم "القرنية" وهي نبتة متواجدة على أطراف الوديان، يقوم الناس بقطفها وتناولها. ولكنها كثيفة الأوراق، شبهت هذه الأخيرة بالألبسة التي تنشرها النساء إلى جنب الواد بعد غسلها. هذه الممارسات كانت موجودة قديما عندما كان الماء لا يصل إلى البيوت، فكانت المرأة تضطر إلى اخذ الألبسة والفرش إلى أماكن تواجد الماء لغسلها.

- عيطت يا مول الجنان خرجلي بالشاشية والقفطان. (الباذنجان)

الباذنجان لونه اسود، يشبه لون القفطان. يوجد في جزئه الأعلى ما يشبه الشاشية التي يضعها الرجل على رأسه، ولكونه موجود في الحقل (الجنان)، اعتمد مقترح هذا اللغز هذه الصيغة حتى يقرب المستمع من الحل.

نفس المعنى صيغ بشكل آخر؛ حيث يقال: بنت السلطان خارجة من الجنان بالشاشية والقفطان ؛ حيث شبهت حبة الباذنجان ببنت السلطان، دليل على القيمة الغذائية لهذا المنتج.

-جات قدام الواد وحشمت. (البليغة).

البليغة أو البونطوفا (pantoufle)، كما يطلق عليها أهل المنطقة، لا تبلل لكونها مصنوعة من مادة غير قابلة للاحتكاك بالماء، خلافا للنعل المصنوع من مادة البلاستيك وتستخدم للوضوء والدخول إلى الحمام. من اجل تقريب المستمع من المعنى، ذكر الواد وشبهت البليغة بالمرأة التي من صفاتها الخجل، وبالتالي فإنها تبقى أمامه ولا تريد الدخول. كما يعبر عن المعنى نفسه في بعض مناطق تلمسان الشاسعة بالصيغة التالية: قبقب وصل للواد هرب. والقبقاب هو نعل كان يصنع من اللوح يستعمل في الحمامات قديما. كما توجد صيغة أخرى لا تبتعد عن الأولى كثيرا: كي وصلت للما، قبضتها الحشومة.

-لابسة ميات عباية ومن تحت ركابيها عراية (الدجاجة).

من المعروف أن الدجاجة يكسو جلدها ريش كثيف، غير أن منطقة الساقين غير مغطاة، وهذا ما يجعل ضارب المثل ينتبه إلى هذه المنطقة من الجسم حتى يصيغ لغزه. ولكون الديك أيضا له سيقان بدون ريش، رغم انه معروف عليه صياحه الذي

يصاحب آذان الصباح. فهذا التدين عند الديك من المفترض أن يمنعه من ترك ابنته (الدجاجة) لجزء من جسمها عريانا: بنت المؤدّن فالصبحا، لابسًا شحال من لبسة وساقها عريان. نفس الشيء ينعت به الديك نفسه: حاجيتك على فلانّ لابس ألف كتانّ وكتانّ وركاييه عريانّ.

- بنت المير زينة فالهمة همية ترقد، فخيوط الحرير صباح وعشية، ومزينا راسها بشاشية (الدرى).

المير هو رئيس البلدية ، ومن المفترض أن يكون شخصا مقتدرا ماليا وبالتالي فبنته تلبس الثياب الغالية، ذات الجودة العالية (الحرير). المثل يتحدث عن مادة الدرى التي تتواجد في الحقل في صيغة حبة مغطاة بأوراق كثيفة (شاشية)، وعند فتحها نجد خيوطا صفراء تشبه خيوط الحرير. لقيمة الدرى الغذائية ولندرته، شبه في شكله ببنت المير. كما توجد صيغتين أخريين لهذا المثل: بنت المير محضية فيها القبة والشاشية. وبنت المير، وشعرها صفر حرير.

من خلال الألغاز المذكورة حول اللباس، يتضح لنا كيف ساهم ناظمها من تقريب معنى اللغز الى المستمع، من خلال ذكر بعض المواد المستعملة في معيشتة اليومية حتى لا يذهب خياله بعيدا وتكون الإجابة مباشرة. فمقترح اللغز ينتظر الحل حتى ينتقل إلى لغز آخر، وبالتالي فالصيغة المقترحة يجب أن تشتمل على معلومات يعرفها المتلقي، ومن دونها لا يمكنه الوصول إلى النتيجة.

6. خاتمة

تمتاز الفنون الشعبية عامة والأمثال والألغاز خاصة، بال محلية، فهي تحمل خصائص المجتمع الذي تظهر فيه، ولهذا السبب يلتف حولها الشعب البسيط، لأنها أقرب إليه من الفنون الرسمية. فتجد في كل منطقة شعرها وقصصها المحلية، أمثالها وألغازها، غنائها ورقصها. كما تمتلك حرفها التقليدية، وطقوسها الدينية، وطرق الاحتفال بالمواسم تختلف من منطقة لأخرى بحسب المرجعيات الدينية والعرقية لكل تجمع سكاني.

المثل واللغز يمثلان الديمومة والبقاء طويلا لأنهما يتطوران ويضاف إليهما الجديد دائما. خلافا لكلمات الإنتاج الفني الفصيح، الذي لا يمسه التغيير ولو طال عليه الأمد. هذا التغيير الذي يمس الشكل والمضمون معا، يكون ناتجا عن الملل من التكرار، فيجتاح الأفراد إلى ترديد المثل أو اللغز بطريقة مختلفة تتلاءم مع اللغة الجديدة والمعاني التي طرأت على المجتمع. وهذا ما يمكن هذه التعابير اللامادية من البقاء على مر الأزمنة.

يساهم المثل واللغز كمادة تاريخية في احتواء ونقل أفكاره ومعتقدات المجتمع وممارساته الشعبية. من أجل معرفة ثقافة الشعوب لا يكون جديرا بالدارسين أن يقفوا عند مجرد معرفة الثقافة الرسمية، بل الواجب التعرف على الفنون الشعبية المختلفة لمعرفة أصالة هذا المجتمع وعراقته وقدمه. فهي تمتاز بالقدم، والتجذر في التاريخ، وبدراستها يمكننا معرفة العناصر الحضارية، والعرقية المكونة للمزيج الإنساني للأمة المراد دراستها.

اللباس من خلال الأمثال والألغاز الشعبية بمنطقة تلمسان

من خلال هذا البحث يمكننا القول أن للمثل واللغز أهمية كبيرة في نقل عادات وممارسات المجتمع؛ مثل النظرة إلى اللباس التي شرحناها في هذه المجموعة من الألغاز والأمثال، والتي لا تمثل إلا جزءا يسيرا مما تحتويه المدونات الشفهية للأشكال الأخرى من التراث اللامادي. وبالتالي وجب جمع وتصنيف هذا الموروث، مثلما قام به الباحثون القدماء، حتى يصل إلى الجيل القادم.

7. قائمة المراجع:

- القرآن الكريم، سورة البقرة وسورة الأعراف.
- ابن منظور، محمد ابن مكرم، (2003)، لسان العرب، بيروت، دار الكتب العلمية.
- إيكة هولتكرانتس (Ake Hultkrantz)، (1972)، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور، ترجمة: محمد الجوهري وحسن الشامي، القاهرة، دار المعارف، مصر، ط.1 والهيئة العامة لقصور الثقافة، ط.2.
- جرطي، جميلة، (2007)، موسوعة الألغاز الشعبية، الجزائر، دار الحضارة.
- بورايو، عبد الحميد، (2006)، الأدب الشعبي الجزائري، الجزائر، دار القصة.
- قريش، روزلين ليلي، (1980)، القصة الجزائرية ذات الأصل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- مرتاض، عبد الملك، (1982)، الألغاز الشعبية الجزائرية، دراسة في ألغاز الغرب الجزائري، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- محمد عباس، إبراهيم، (2009)، الثقافة الشعبية. الثبات والتغير، القاهرة، دار المعرفة الجامعية.
- ابن الشيخ، التلي، (1990)، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
- لوح، نسيم، (2021)، الألغاز الشعبية في منطقة مسيردة بتلمسان-دراسة في البنية الإيقاعية-، مجلة المدونة، جامعة البليدة 2، المجلد 08، العدد 20، <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/157298> (اطلع عليه يوم 2023/02/18)
- لعوي، رابح، (2013)، اللغز الشعبي، مجلة التواصل، جامعة عنابة، العدد 33، <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/41911> (اطلع عليه يوم 2023/02/18)
- رياي، خديجة، (2022)، الشفوية والتدوين في الحكاية الشعبية-بابا انوفا أنموذجا، مجلة اللغة العربية، المجلد 24، العدد 03، <https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/219/24/3/199198> (اطلع عليه يوم 2023/10/13)
- مقابلات مع بعض النساء بمناطق من ولاية تلمسان (عين غرابة، سيدي العبدلي ومدينة تلمسان).
- مقابلة مع احد التجار الحرفيين (صناع الجلود) بمدينة تلمسان.